مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: تداعيات الازمة الروسية – الجورجية على العلاقات الروسية الامريكية
اسم الكاتب: م.د. سعد السعيدي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6902
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 00:59 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تداعيات الازمة الروسية-الجورجية على العلاقات الروسية الامريكية

المدرس الدكتور
سعد السعيدي(*)

المقدمة

بإنتهاء الحرب الباردة التي بدات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى عام ١٩٩١ وانتهى معها الاتحاد السوفيتي بوصفه أحد طرفي هذه الحرب فضلاً عن تفكك الكتلة الاشتراكية بشكل عام وانتصار المعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتح دة وما تبعه من تدهور كبير في قوة ومكانتها روسيا كوريث للإتحاد السوفيتي وانسياقها وراء السياسة الأمريكية العالمية الى حد كبير لاسيما في السنوات الاولى التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي فضلاً عن خسارة روسيا المتتالية لسمعتها الدولية ومكاسبها الإستراتيجية حتى على صعيد الجوار القريب لها.

ساد اعتقاد عالمي أن احتمالات عودة الحرب الباردة بين طرفي الصراع القديم حتى ولو بشكلها البسيط وعودة روسيا لتكون قوة دولية من جديد أصبحت مستحيلة . إلا ان مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية ذات الصلة بروسيا الاتحادية بدأت تظهر مع بداية النصف الثاني من عقد التسعين بدأت وتعززت مع وصول فلاديمير بوتين للرئاسة الروسية وصولاً الى الحدث الاهم ألا وهو الازمة الأخيرة التي اندلعت بين روسيا وجورجيا واستخدمت فيها القوة العسكرية لحسم جانب من جوانبها عبر القوة . قد غيرت تلك القناعات والتصورات والمدركات الدولية عن القوة والدور الروسي العالمي سواء على صعيد ادراك الروس لدورهم ومكانتهم الاقليمية والدولية الجديدة أو على صعيد ادراك حلفاء وأعداء روسيا الاقليميين والدوليين الى الحد الذي دفعت فيه أسباب هذه الازمة والمتغيرات الفاعلة فيها والنتائج المتوقعة منها الكثير الى ان يجمعوا على ان هذه الازمة ستؤسس لبداية نوع جديد ومختلف من العلاقات الدولية تكون فيه روسيا طرفاً فاعلاً وان لم يكن مشابهاً لذلك الدور

(*) كلية العلوم السياسية–جامعة بغداد

الذي كان يؤديه الاتحاد السوفيتي السابق وقد أظفت حزمة من الاسباب المختلفة على الازمة الروسية الجورجية سم ة الازمة التي تمتاز بابعاد دولية مهمة من بينها ان احد اطرافها وهو روسيا الاتحادية وعلى الرغم من ضعفها العام الذي اتسمت به منذ انهيار الاتحاد السوفيتي والى حين بداية القرن الحادي والعشرين تعد قوة كبرى ذات تاثير دولي ولها مصالح دولية مختلفة. كما أن احد دوافع الازمة هو سعي روسيا في اطار استراتيجية روسية جديدة لإستعادة دورها كقوة دولية كبرى أو تقليل خسائرها الاستراتيجية التي منيت بها خلال التسعينيات من القرن الماضي عبر ابراز قوتها ودفع الاطراف الدولية للتعامل الموضوعي والايجابي مع الوضع الناشئ المتمثل بإنبعاث ا لدور الروسي العالمي من جديد وايقاف التطاول (طبقاً للتصور الروسي) من قبل بعض القوى الدولية على الدور والمصالح الروسية والدولية.

فضلاً عن ان جورجيا كطرف مباشر في الازمة لم تكن هي الاخرى بمعزل عن التحرك في إطار أهداف ودوافع دولية تمثل مصالح وتصورات قوى دولية أهمها الولايات المتحدة وحلف الناتو.

ومثلما أن لكل أزمة أسبابـاً ودوافعاً ولها متغيرات وفواعل تؤثر في اتجاهاتها العامة نحو شاخص معين أو شواخص متعددة فإن لها كذلك نتائج اً وتداعيات تنعكس على البيئة الداخلية لطرفي الازمة وعلى البيئة الاقليمية والدولية . وهذه الاخيرة هي التي ستكون محط اهتمام هذا البحث لا سيما منها تلك التداعيات التي تمس حاضر العلاقات الروسية الامريكية ومستقبلها كأهم الاطراف الدولية الفاعلة والمؤثرة وما تعكسه هذه العلاقة تبعاً لذلك على مجمل العلاقات الدولية.

وقد كانت الاحداث والظواهر على الدوام تقا س بنتائجها وآثارها لذلك فنحن هنا لسنا بصدد البحث في جانب الاسباب والمتغيرات المؤثرة بالازمة بعدما أصبحت معروفة للمتابعين كما أن اهميتها بعدما أصبحت واقعاً لم تعد ترقى الى اهمية ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد في اطار العلاقات الدولية بشكل عام والتداع يات على العلاقات الروسية الأمريكية بشكل خاص على الرغم من ان حاضرها يؤسس لشكل العلاقات المستقبلية بين الطرفين ولطالما كانت أسباب الظواهر والأحداث كمدخلات إذا ما فسرناها

في إطار المنهج النظمي والمتغيرات المؤثرة بها كمتغيرات وتفاعلات يسيرة الرصد اذا ما قورنت بالتداعيات المترتبة عليها وذلك لأنها تمثل معطيات معلومة على ارض الواقع . إلا أن الوصول للنتائج وتداعياتها نظراً لوقوع جانب كبير منها وتبعاً لنوعية الظاهرة أو الحدث في مجال المستقبل و من ثم شحة المعطيات والمعلومات المؤكدة المتعلقة بها سيكون صعباً أو قليل التوكد والقطعية.

وسوف لن تكون دراسة هذه الازمة وتداعياتها استثناء من هذه القاعدة ومن هنا تنبع صعوبة البحث. وينطلق هذا البحث من اشكالية رئيسة ويحاول البرهنة عليها من خلال فرضية. أما الاشكالية فتتمحور في إطار السؤال الآتي (هل ستؤثر الأزمة الروسية – الجورجية الأخيرة على العلاقات الروسية–الأمريكية؟ وما نوع ذلك التأثير وانعكاسه على العالم والعلاقات الدولية؟).

بينما الفرضية التي هي بمثابة الحل الاولي للبحث وادعاء يدعيه الباحث ويحاول البرهنة عليه فهي (ستكون هناك تداعيات كبيرة للازمة الروسية– الجورجية على العلاقات الروسية –الامريكية وبشكل يدفعها الى التصعيد والتنافس بشكل أكبر من الماضي وينعكس ذلك على مجمل العلاقات الدولية)

ولمعالجة هذا الموضوع ينقسم البحث على ثلاثة جوانب رئيس ة تغطي المجالات الأساسية المحتملة التي ستتمثل في اطارها تداعيات الازمة على علاقة روسيا بالولايات المتحدة وانعكاسها دولياً هي التنافس الاستراتيجي العالمي بين روسيا والولايات المتحدة . والثانية علاقة روسيا بحلف الناتو ودور الولايات المتحدة فيه والثالثة في مجال اعادة سباق التسلح بين الطرفين.

أولاً: التنافس العالمي الإستراتيجي بين روسيا والولايات المتحدة

مجمل الوقائع ذات الصلة بالأزمة الروسية– الجورجية أو ما تدعى احياناً ازمة اوسيتيا الجنوبية تشير الى أن هذه الازمة كانت في جوهرها شكلاً من أشكال المواجهة بين روسيا والولايات المتحدة الامريكية وعلى الصعيد الاقليمي والدولي . وأشارت إلى أن روسيا باتت خياراتها مفتوحة تجاه ما يهدد مصالحها وأنها مستعدة لإستخدام القوة العسكرية المفرطة للحفاظ على مصالحها الحيوية في محيطها الاستراتيجي والأمني الإقليمي والدولي من جهة .

وان الولايات المتحدة كانت حاضرة وبقوة في هذه الازمة كقطب دولي مهيمن سعت من خلالها الإمعان بمحاصرة وإضعاف روسيا وعزلها دولياً وابعاث الهواجس الاقليمية تجاه الخطر الروسي وادخال روسيا في مواجهة اقليمية مستمرة تنظر اليها الولايات المتحدة على انها تقلص من قدرة روسيا على استعادة مكانتها القديمة من جهة اخرى.

وبغض النظر عن مدى التأكد من دقة التحليل السابق إلا ان هذه الازمة تشير بشكل عام الى تغير حقيقي في طبيعة النظام الدولي ستتضح معالمه في السنوات اللاحقة يقوم على اساس بدء حقبة جديدة من العلاقات الدولية اساسها احتدام التنافس الاستراتيجي بين روسيا والولايات المتحدة بمستويات أقل من تلك التي كانت سائدة أبان الحرب البارد ة تسعى روسيا من خلالها استعادة بعض مواقع نفوذها المفقودة وتصحح الخلل في توازن القوى مع الولايات المتحدة . وقد مرت علاقات روسيا الخارجية بالولايات المتحدة بمراحل اختلفت تبعاً لإختلاف مصالح الطرفين واولوياتهم الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية على وجه ا لتحديد ولحد الآن . فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة مثلاً سادت قوى سياسية في روسيا طالبت انطلاقاً من ادراكها للواقع الروسي الجديد بالتحول نحو سياسات جديدة تعترف بعدم القدرة على الإستمرار بلعب دور القوة العظمى . وتؤكد على أهمية اندماج روسيا بالحضارة الغربية كطريق لنهضة روسيا مجدداً وإنقاذ إقتصادها المتهالك وايجاب التخلي عن تطلعات العظمة أو استخدام القوة المسلحة في العلاقات الدولية من قبل روسيا.

وركزت روسيا في هذه السياسة على تحالفها مع الولايات المتحدة من منطلق القبول بالمنظور الأمريكي لشكل و طبيعة العلاقات الدولية [1] وإعطاء تنازلات من جانب واحد عبر تعاون روسي غير مشروط مع الغرب في مجالات ضبط التسلح والتدمير من جانب واحد للأسلحة الإستراتيجية والإرهاب والمعاهدات الأمنية التي تحد من الدور العالمي لروسيا بشكل عام وفي أوربا والجوار القريب بشكل خاص . ومجاراة الولايات المتحدة في مطالبها غير المتناهية . وبشكل عام رأت روسيا منذ عام ١٩٩١ أن التعاون مع الولايات المتحدة هو

١- محمد السيد سليم. التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية. مجلة السياسة الدولية . العدد ١٧٠ مركز الأهرام القاهرة ٢٠٠٧ ص ٤١

أفضل وسيلة لها لحماية مصالحها عبر العالم وعدم انعزالها دولياً من خلال المزيد من التعاون الدبلوماسي بين الطرفين والحد من منافستها للولايا ت المتحدة والغرب في المناطق التي تعدها الولايات المتحدة مناطق نفوذها [٢]. وقد أدركت الولايات المتحدة الضعف الروسي هذا فطالبت بتنازلات لا حد لها في مجالات مختلفة كإدخال تعديلات جذرية على سياسة روسيا باتجاه التخلي عن تدخلها في القضايا الدولية المهمة لاسيما في عالم الجنوب وفسح لمجال أمام الولايات المتحدة فقط للتفرد عالمياً . بل والطلب من روسيا الضغط على حلفائها للإنصياع للإدارة الأمريكية.

وبالمقابل أدركت روسيا آنذاك حقيقة أن عملية انهيار القوى الكبرى كروسيا (الاتحاد السوفيتي سابقاً) متى ما بدأت فإن أحداً لا يعرف أين وكيف ومتى ستنتهي . ومن هذا الواقع تقبلت روسيا في تلك المرحلة فكرة الانسياق وراء السياسة الأمريكية . فقبول روسيا مثلاً المشاركة في تطبيق وثيقة اللائحة التأسيسية لعام ١٩٩٧ التي تتيح لخصمها القديم التوسع في مناطق كانت تدور في دائرتها الإستراتيجية لم يكن لي تم لولا تفهمها بان موازين القوة لم تعد في صالحها.

وعلى الرغم من اعتراف روسيا بهزيمتها أمام الولايات المتحدة والغرب . إلا أن الولايات المتحدة وحلفاءها يرون أن ليس على روسيا الاعتراف بالهزيمة فقط بل أن تطبق ما يطلبه الغرب منها على صعيد نظامها السياسي والاجتما عي والاقتصادي وعلى صعيد علاقاتها الخارجية والدولية والتسليم بما مطلوب منها غربياً والتدخل بشؤونها الداخلية ومعاقبتها إذا أخطأت أو قصرت في تلك المطالب[٣].

وفي هذا ا لشأن فإن الولايات المتحدة وحلفا ءها غير مقتنعين اليوم بأن انتصارهم على الاتحاد السوفيتي والشيوعية في الحرب الباردة كان كافياً وحاسماً كما كانوا يتوقعون في بداية التسعينيات. لذلك اتخذوا قراراً بمواصلة الحرب الباردة ضد روسيا وبأشكال مختلفة . وقد

٢ –سلفين جودمان. في امتطاء النمر . تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة ترجمة عبد الله الحاج . مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. الطبعة(١) ١٩٩٦ ص٣٧.

٣ –جميل مطر . الضغوط الغربية على روسيا. مجلة المستقبل العربي. العدد٣٢٣. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٦ ص٤٥

تعززت لدى روسيا القناعة بشكل أكثر في السنوات الأخيرة الماضية باستمرار الحرب الباردة ضدها رغم انسياقها سابقاً وراء السياسة الأمريكية وأدركت أن الحرب الباردة لم يتغير فيها سوى الإيديولوجية التي تبدلت من دولية إلى قومية والمكان الذي أصبح يقترب أكثر من الأراضي الروسية. فحماسة الغرب بقيادة الولايات المتحدة لإضعاف ومحاصرة روسيا لم تفتر مثلما هي حماسة روسيا للتصدي لغ طرسة الغرب طبقاً للنظرة الروسية وإظهار نفسها بأنها الوحيدة القادرة على الوقوف بوجه هذا التكتل.

وقد تعززت المخاوف الروسية من الن يات الأمريكية والغربية عندما لمست إستراتيجية أمريكية تقوم على أساس صياغة مفهوم جديد عن أراضيها وأمنها يأتي الدرع الصاروخي كجزء منها لا تستبعد شن الحرب لإنهاء ما تبقى من الإتحاد السوفيتي بما فيه روسيا والسيطرة على منابع النفط والثروات الطبيعية فيها[٤].

وقد تضافرت هذه المتغيرات مع أخرى لتدفع باتجاه بلورة قناعة روسية جديدة تتغير خلالها السياسة الخارجية الروسية وأولوياتها وأدواتها إزاء الولايات المتحدة وحلفائها وتجعل من روسيا راغبة ومضطرة معاً بشكل أكبر للعب دور المنافس وليس التابع أو المجاري للسياسة الأمريكية. ومن هذه المتغيرات صعود تيارات سياسية روسية إلى مجلس النواب الروسي (الدوما) تتميز بعدائها التقليدي للسياسة الأمريكية والغربية كال شيوعيين والقوميين، إدراك روسيا بعدم جدوى المساعدات الاقتصادية الأمريكية والغربية لها فضلاً عن اتسامها باستغلال الضعف الروسي، حرص الولايات المتحدة على إذلال روسيا وإظهارها بالموقف الضعيف، تحسن المؤشرات الاقتصادية للاقتصاد الروسي مما دفع روسيا لتأكيد دورها كدولة كبرى من جديد حتى لو لم تكن قوة عظمى . وقد ترافقت مع استقرار اجتماعي وسياسي تمثل بتوافق الدوما والكرملن حول القضايا الرئيسة والمهمة. فضلاً عن أثر كل من فلاديمير بوتين كقائد قوي بعد وصوله إلى الرئاسة الروسية ويفكيني بريماكوف المعروف بموقفه الصلب تجاه كل ما يمكن أن ينتقص من مكانة روسيا وقوتها ودورها العالمي وكلاهما من القوميين الروس . حيث عملا على إعادة صياغة التحالفات مع بعض القوى الآسيوية والأوربية وتجديد الترسانة الروسية وتثبيت الموقف الروسي المستقل عن الموقف الأمريكي

٤- لهيب عبد الخالق. بين انهيارين الإستراتيجية الأمريكية الجديدة. الطبعة١ الأهلية للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٣ ص١٦٢

في العديد من القضايا الدولية وحصوله ما على إجماع شعبي ورسمي روسي في توجهاتهما القومية.وطبقاً للثقافة الروسية يجب إن يتص ف الرئيس الروسي بثلاث سمات رئيس ة تسقط عنه شرط أن يكون منتخباً من قبل الشعب هي إيمانه بالقوة والقدرة على التعبير عنها في سياساته وتصريحاته في مواجهة الخصم في الداخل والخارج و الثانية هي أن يكون مؤمناً بروسيا وأمجادها أي إن يكون قومياً أما الثالثة فهي أن يكون سلطوياً لا يتنازل لخصومه بسهولة أو يسمح بتعدد مركز القوة في الدولة . وهذه السمات هي التي منحت الرئيس بوتين ومن بعده ميدفديف القوة والسلطة لخوض جولة جديدة من التنافس الاسترات يجي الإقليمي والعالمي مع الولايات المتحدة تبعاً للمعطيات التي انتظمت في علاقتهما الجديدة.

وقد شكلت الأزمة الأخيرة بين روسيا وجورجيا حول اوسيتيا الجنوبية وأبخازيا بكل حيثياتها وإطرافها المتعددة ومتغيراتها المختلفة مؤشراً واضحاً لبداية هذه الجولة من التنافس الاستراتيجي بين الطرفين الأمريكي والروسي يمتد من الجوار القريب لروسيا مروراً بالفضاء الأوراسي والأوربي وانتهاء بالفضاء العالمي بشكل عام.

وبشكل عام يمكن إن يتركز التنافس الروسي الأمريكي الجديد في ضوء تداعيات الأزمة الأخيرة في إطار جملة من المناطق والقضايا المهمة وكما يأتي:-

١ -التنافس في إطار القارة الأوربية:

على الرغم من أن روسيا تدرك أنها تنتمي إلى آسيا وأوربا معاً إلا أنها ترى نفسها في أوربا بينما الولايات المتحدة خارج أوربا وعليه فأن فرصتها كبيرة للاندماج والتقارب مع أوربا وإنها الأقرب لدعم التوجه الأمني الأوربي المستقل وترتيباته الأمنية المستقلة عن الولايات المتحدة وأن تكون جزء اً من أطره الأمنية والاقتصادية عبر الانضمام إلى الاتحاد الأوربي الذي هو موضع ترحيب روسي وتوفير المظلة النووية لأوربا بدل المظلة النووية الأمريكية لتكون بذلك قوة عظمى مع أوربا لاسيما أن روسيا ترتبط بعلاقات تعاونية ومصالح حقيقية مع أوربا اذ يشكل رأس المال الأوربي ٧٥% من مجموع الاستثمارات الأجنبية المباشرة في روسيا والاتحاد الأوربي أكبر شريك تجاري لروسيا حيث تبلغ نسبة الصادرات الروسية للاتحاد الأوربي ٥١% من إجمالي الصادرات الروسية وبنسبة ٤٦% من إجمالي

الواردات الأوربية في إطار اتفاق الشراكة والتعاون بين الطرفين [٥]. فضلاً عن الاعتماد الأوربي الكبير على إمدادات الطاقة (نفط + غاز) الروسية أو تلك التي تأتي من آسيا الوسطى والقوقاز وبحر قزوين وتمتاز روسيا بتأثيرها الكبير فيها . إما من اذ الإنتاج والتصدير أو من حيث التملك عبر شركاتها النفطية العملاقة التي تسيطر على جانب كبير من السوق والصناعة النفطية الأوربية أو من حيث السيطرة على طرق إمدادات الطاقة.

وفي هذا المجال تحاول روسيا بعد الأزمة مع جورجيا تسويق منظورها الأمني الخاص بأوربا فروسيا يهمها حساب دورها الاستراتيجي لتحقيق إستراتيجية أمنية أوربية على المدى البعيد. فأما الأمن الروسي في أوربا أو على أوربا أن تتجه غرباً.

وقد كان الأمن الأوربي على الدوام معرضاً للتغيير وإعادة الصياغة تبعاً للمراحل المختلفة من العلاقات الدولية والنظام الدولي السائد [٦] فقد شهد تغييرات كثيرة من الحرب العالمية الأولى مروراً بالثانية ثم الحرب الباردة وبعدها انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وتوسيع حلف الناتو.

واليوم يشهد كذلك تغيراً ملحوظاً في مفهومه وآلياته وقواه الفاعلة . اذ نجحت روسيا عبر إدارتها الناجحة للازمة في إجبار أوربا والولايات المتحدة للدعوة لقيام نظام أمني جديد لأوربا تكون فيه روسيا طرفاً فاعلاً.

وإدراكا منها لأهمية الدور الروسي الجديد حرصت أوربا في إطار هذه الأزمة وعبر مواقفها الرسمية على عدم إغضاب روسيا رغم تلويح الاتحاد الأوربي بفرض نوع من العقوبات الاقتصادية والسياسية كتعليق المفاوضات حول شراكة إستراتيجية جديدة مع روسيا إلا أنها اتخذت طابعاً رمزياً صرفاً ولم ترق إلى درجة التقاطع مع الأهداف والأدوار الروسية الإقليمية والدولية انطلاقاً من الإدراك الأوربي بسلبية فرض أي نوع من أنواع العقوبات على

---

٥ –نورهان الشيخ . العلاقات الروسية الأورأطلنطية بين المصالح الوطنية والشر اكة الإستراتيجية . مجلة السياسة الدولية . العدد ١٧٠ مركز الأهرام .القاهرة .٢٠٠٧ص٤٧

٦ –يمكن الرجوع في هذا المجال لزيادة التفاصيل إلى جملة من المصادر منها : رياض الصمد . العلاقات الدولية في القرن العشرين(ج٢)(ط١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت١٩٨٣.

روسيا كونه يأتي بنتائج عكسية على الأمن والبناء الوحدوي الأوربي [٧].وقد تبادرت إلى التصور الروسي العديد من المتغيرات ذات الصلة بالبناء الأوربي من جهة وتلك المتعلقة بحسابات الدور الروسي العالمي الجديد من جهة أخرى دفعت روسيا إلى محاولة مزاحمة الولايات المتحدة في أوربا وفرض نوع من الإرادة الروسية في هذا المجال متقدمة في أهدافها وأدواتها على الإرادة الروسية السابقة الخاصة بأوربا إن وجدت. ومن هذه المتغيرات هي أن أوربا رغم انتمائها إلى المعسكر الرأسمالي العالمي إلا أن انتما ءها يختلف قليلاً عن الانتماء الأمريكي. اذ تحرص على إن تقدم أنموذجا رأسمالياً أكثر انسيابية وميلاً للعدالة الاجتماعية من نظيره الأمريكي دون أن تتقاطع مع العقل البيروقراطي الاشتراكي . وهو ما قد يخلق نوعاً من التنافس الشديد بين أوربا والولايات المتحدة الأمريكية [٨] وفي هذا المجال تحاول روسيا استمالة الأطراف الأوربية الرافضة للهيمنة الأمريكية على أوربا مثل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا في إطار برنامج التآلفات الإستراتيجية التي تسعى إليها روسيا لفرض نوع من الإرادة المختلفة عن الإرادة الأمريكية في القارة الأوربية.

ورغم ذلك إلا أن أوربا لا تزال ليست على استعداد للتقليل من شان العلاقة التاريخية التي يعبر عنها الانتماء المشترك تحت قيادة أمريكية لمنطقة أمنية وإستراتيجية موحدة فضلاً عن رابطة اقتصادية واجتماعية تعبر عنها الرأسمالية العالمية.

فأوربا في علاقتها الخارجية مع العالم ومنه روسيا تحاول أن تؤكد ذاتيتها الخاصة في النه ج السياسي لكن ضمن رمزيات معينة في إطار سياستها الرسمية والمبادرات غير الإستراتيجية التي عطل أهميتها الإرتباط الاستراتيجي بمنهجية وإرادة الشريك الأكبر وهو الولايات المتحدة[٩] وقد خلق هذا الارتباط فضلاً عن متغيرات ذات صلة بالبناء الأوربي الداخلي والإمكانيات الروسية المحدودة على التأثير وضبابية في التصور والرؤية

---

٧ – خالد سعد زغلول. الأزمة في القوقاز تحد جديد للاتحاد الأوربي. مجلة السياسة الدولية. العدد(١٧٤) مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. القاهرة٢٠٠٨ ص٢١٨.

٨ –ينظر عمر الشويكي . أوربا من السوق إلى الاتحاد صناعة وحدة . مجلة كراسات إستراتيجية العدد (١٤١). مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. القاهرة٢٠٠٤.

٩ –محمد عبد الشفيع. اختطاف أوربا على جناحي الأطلسي. مجلة المستقبل العربي العدد (٣١٩) مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت٢٠٠٥ ص١٢٨.

الإستراتيجية الأوربية حيال القضايا الإقليمية والدولية ومنها الأزمة الروسية الجورجية والانسياق وراء النظرة الأمريكية في هذا الإطار وخلق نوع من الإتكالية الأوربية على الولايات المتحدة في التعامل مع هكذا قضايا.

وما يعزز الدور الأمريكي في أوربا هو عدم رغبة دول أوربا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق التي انضمت إلى الاتحاد الأوربي والناتو بالخضوع لقيادة أوربية تمثل أوربا الغربية السابقة وتفضل حظوراً قيادياً أمريكياً وارتباطاً سياسياً وامنياً قوياً بالولايات المتحدة عبر الناتو.

وهنا تحرص الولايات المتحدة على إظهار الاستمرار في قيادتها للعالم عبر قيادتها للمعسكر الليبرالي الغربي بشكله القديم (أوربا الغربية) والحديث (الحلفاء الجدد) ولن تسمح أو تتسامح مع أي طرف غربي أن ينازعها هذه القيادة أو لطرف خارج الم عسكر الغربي كروسيا أن يسعى لتهديد قيادتها لهذا المعسكر.

وعليه فإن روسيا رغم استثمارها للمعطيات الايجابية التي منحتها إياها هذه الأزمة فإنها لم تصل بعد في إطار تنافسها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة على الفضاء الأوربي لأن تكون نداً موازياً لقدرة وأمكانيات الطرف الأمريكي . إلا أن روسيا بعد الأزمة تختلف بالضرورة عنها قبل الأزمة على الأقل من حيث التصميم على انجاز الأهداف المتعلقة بالمحيط الإقليمي والرغبة في المنافسة الإستراتيجية الشاملة . ومن حيث الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية والسمعة والهيبة الدوليتان فضلاً ع ن تطور إمكانياتها وقدراتها على المشاركة في صياغة الأمن الأوربي والقضايا المختلفة في إطار أوربا الموحدة بشكل يفوق إمكانياتها السابقة وبشكل ملحوظ.

٢ -التنافس الروسي – الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى

يرى المتخصصون في الشؤون الروسية بأنه لا توجد منطقة في العالم حض يت منذ سقوط الاتحاد السوفيتي بمكانة إستراتيجية بالنسبة لروسيا كتلك التي حظيت بها منطقة آسيا الوسطى . ففي هذه المنطقة يجتمع ميراث التاريخ ووعود المستقبل والثروات والحركات الإسلامية ومكامن الطاقة

والصراعات الدولية والإقليمية. بل أن الاهتمام بهذه المنطقة يعود إلى العهد القيصري الروسي [١٠] لذلك عملت روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي على ضمان استمرار نفوذها في هذه المنطقة عن طريق مجموعة من والمعاهدات التنظيمات الإقليمية التي تجمعها مع هذه الدول تكون فيه روسيا المركز ومن حولها دول آسيا الوسطى التي تسميها روسيا الجو ار القريب أو الأقرب في إشارة إلى تميزها عن باقي المناطق التي كانت روسيا في مرحلة ما تحضى بنفوذ واسع فيها وقد أعطت روسيا لنفسها في إطار الجوار القريب أو الأقرب الحق في التدخل السياسي والعسكري في الجمهوريات السوفيتية السابقة لاسيما في حالات التوتر أو التهديد بإلحاق الضرر بالمصالح الروسية. والإثبات للعالم أن روسيا هي مفتاح هذه المنطقة والحصول على اعتراف عالمي بالدور القيادي الروسي فيها وبأن روسيا هي الوحيدة القادرة على ضمان أمن واستقرار المنطقة [١١] لذلك لا يمكن تصور روسيا وهي تتخلى عن طموحاتها في هذه المنطقة في إشارة ذات دلالة إلى علا قتها مع الولايات المتحدة وحلفائها الراغبين بالسيطرة على هذ ه المنطقة استناداً إلى بعض حلفا ئهم الإقليميين الجدد ومن أبرزهم جورجيا.

فقد كانت جورجيا أول موطئ قدم للولايات المتحدة في المنطقة ومنها انتقلت ما تعرف بالثورة الوردية بدعم أمريكي عام ٢٠٠٣ ضد ما تعرف بالنظم التسلطية وضد النفوذ الروسي ثم انتقلت إلى أوكرانيا عام ٢٠٠٤ وقرغيزستان عام ٢٠٠٥[١٢] وسعت الولايات المتحدة لإنشاء اتحاد يضم أوكرانيا، جورجيا ،أذربيجان، أوزبكستان ومولدافيا فيما يعرف بإتحاد جوام. يهي إلى إيقاف التمدد الروسي الجديد و السيطرة على هذه الدول وتحدياً لإرادة روسيا في فرض أهدافها وإستراتيجيتها ومصالحها الإقليمية.

وتأتي الأزمة الأخيرة وفي إطارها الضربة العسكرية الروسية لجورجيا في جانب منها في إطار الإدراك الاستراتيجي الروسي لجدية التنافس الذي باتت تفرضه الولايات المتحدة وحلفاؤها على روسيا عبر سياستها الخاصة بالمنطقة.

---

١٠ –عاطف عبد الحميد. روسيا وآسيا الوسطى . حماية المصالح واحتواء الأ خطار . مجلة سياسية دولية . العدد (١٧٠) مركز الأهرام. القاهرة ٢٠٠٧ ص١٨٣

١١ –محمد عبد السلام. مشكلات الأمن الوطني لدول الكومنولث المستقلة في ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة . معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة١٩٩٤ص٢٨٥.

١٢ نورهان الشيخ. روسيا وأزمة اوسيتيا الجنوبية توازن جديد للقوى الدولية. مجلة السياسة الدولية. العدد (١٧٤) مركز الأهرام . القاهرة٢٠٠٨ص٧٣.

فالاهتمامات الأمريكية والغربية المتزايدة بدول آسيا الوسطى تأتي في إطار معاصرة وتحجيم الدور الروسي والسعي لإخراج دول المنطقة تدريجياً من دائرة النفوذ الروسي عبر مجموعة من المشاريع والسياسات والاتفاقيات الأمنية والا قتصادية والسياسية وتشجيع النزوع الإقليمي على الاستقلال عن الموقف الروسي وتشجيع الدور التركي كخيار إسلامي بديل عن الخيار الروسي فضلاً عن السعي لتقليص الوجود العسكري الروسي ، لذلك استمرت الولايات المتحدة تنصح روسيا بضرورة التخلي عن استخدام مفهوم الجوار القريب لان هذا الجوار أصبح أيضاً جوار اً للناتو والاتحاد الأوربي وان يستخدم الجميع عبارة الجوار المشترك كتعبير عن تساوي روسيا والغرب بالمصالح والنفوذ في المنطقة . إلا أن روسيا ترفض هذا الطرح وبشدة وتدعو الغرب للإعتراف بنفوذها وتعطي لنفسها الحق بالتفرد الكامل بإدارة شؤون المنطقة كمجال حيوي خاص بها.

وتستخدم للحفاظ على هذا الوضع وتعزيزه مجموعة من الوسائل كالوسيلة الدبلوماسية لإدامة التوافق بينها وبين جوارها القريب وترسيخ إدراك هذه الدول بأهمية وجدوى وجود رابطة مع روسيا لحماية الأمن الإقليمي لهذه الدول ومنع التغلغل الأمريكي وإقناعها في ا لوقت نفسه باستحالة عودة الهيمنة الروسية عليها وحفظ سيادتها كاملة . فضلاً عن الوسيلة الاقتصادية التي تؤدي فيها روسيا دور القاطرة المحركة لاقتصاديات هذه الدول المعتمدة بدورها على النمو الاقتصادي الروسي وعلى المركز المالي والاستثماري الإقلي مي الذي أصبح السوق الروسي يمثله فضلاً عن دورها كمنتج ومسوق عالمي رئيس للنفط والغاز ومتحكماً في توجهاته ومساراته في المنطقة [١٣] وأخيراً الوسيلة العسكرية من خلال احتفاظها بوجود عسكري في هذه الدول وإبداء استعدادها لاستخدام قوتها العسكرية الضاربة لمواجهة أي تهديد يلحق بالمنطقة أو بالمصالح الروسية وقد جاءت الحرب على جورجيا في هذا الإطار عندما استغلت روسيا الأزمة كذريعة لهزم جورجيا عسكرياً وإذلالها سياسياً وردعها عن تحدي سلطة روسيا في المنطقة مجدداً وتوجيه رسالة قوية من خلالها لباقي دول المنطقة بضرورة عدم المغامرة وتجاوز المصالح الروسية الثابتة[١٤] والوقت نفسه إقناع القوى الدولية ومنها الولايات المتحدة بعدم تردد روسيا في استخدام قوتها العسكرية ضد أي تهديد مهما كانت مصادره يسعى لمحاصرة روسيا والتضييق على حركاتها الإقليمية والدولية . وقد

١٣ تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٣ www.syria.news.com

١٤ تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٨/١٢/٢٨ . wwwalarabiya.net/views/2008/08/15html

حققت روسيا نجاحات كبيرة في تنافسها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة من أه مها ردع المساعي الأمريكية وحلفا ئها في المنطقة من محاصرة النفوذ الروسي وتحجيمه، بل أن روسيا استطاعت تحجيم النفوذ والأمريكي وتدخله في المنطقة وأثبتت لدول المنطقة مدى التزامها بتنفيذ تعهداتها الخاصة بموا جهة التسلل الدولي للمنطقة وتحقيق أهدافها والتصدي للتحديات الداخلية الخارجية واستطاعت إقناع بعض دول المنطق ة التي سبق وأن أبرمت معاهدات أمنية مع الولايات المتحدة بالتراجع عنها كأوزبكستان وقرغيزستان فضلاً عن ردع الدول الأخرى التي تنوي تطوير علاقاتها السياسية والأمنية مع الولايات المتحدة على حساب روسيا كأوكرانيا وأذربيجان وإرغامها بالعدول أو تأجيل خططها ذات الصلة.

فضلاً عن تحجيم الجهود الجورجية المعادية لروسيا كقاعدة انطلاق للتحرك الأمريكي والغربي في المنطقة وتأجيل انضمامها لحلف الناتو . وفي الوقت نفسه تعزيز الثقة الروسية لتكرار تحركها العسكري في المنطقة وخارجها ضمن خطة إستراتيجية لاستعادة المكانة الروسية وهيبتها في العالم انطلاقاً من تعزيز نفوذها في جوارها القريب والأقرب كقاعدة للتحرك الفعال.

٣ -التنافس الروسي – الأمريكي في آسيا

اذ سيتركز التنافس الاستراتيجي بين روسيا والولايات المتحدة ضمن ال قارة الآسيوية في منطقتين رئيستين هما حسب الأهمية بالنسبة لروسيا منطقة شرق آسيا والهند والثانية هي منطقة الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من أن تاريخ التناف س الروسي– الأمريكي في آسيا يرجع عدة عقود خلت[١٥] إلا أنه قد أخذ بعد الأزمة الروسي ة–الجورجية منحاً مختلفاً وأكثر عمقاً وأخذ يسير ضمن معطيات وأهداف ووسائل أكثر تغيراً، فضلاً عن سيادة عالم ونظام عالمي جديد

١٥ للتفاصيل في هذا الم جال يمكن الرجوع مثلاً إلى إبراهيم أبو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين(ط١)بيروت١٩٩٥ وكذلك إسماعيل صبري مقلد. العلاقات السياسية(ط٥) الكويت١٩٨٧.

يختلفان بالضرورة عن ما سبق . والأمر الأكثر أهمية في هذا المجال هو أن ظروف ومعطيات ومخرجات هذه الأزمة حررت روسيا من بعض قيودها السابقة م ن حيث الأداء والرغبة والممكنات المختلفة في إطار التنافس مع الولايات المتحدة حول مناطق النفوذ في آسيا لاسيما إذا ما تمت مقارنة الظروف الإستراتيجية التنافسية الجديدة مع تلك التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي في العقد الأخير من القرن العشرين.

إن إدراك روسيا ل لنظام العالمي في السنوات الأخيرة يقوم على أساس الدعوة لإصلاح آلياته ومفهومه لإقامة نظام يحضى بالقبول والتأييد يقوم على الشراكة والتحالف والتفاهم وهو لن يتحقق طبقاً للتصور الروسي إلا عن طريق إنهاء التفرد الأمريكي العالمي وإنهاء احتكار الولايات المتحدة لإدارة السياسة الدولية من خلال طريقين رئيسين هما تأمين الجوار القريب لروسيا كما تم ذكره والثانية هي التآلفات الإستراتيجية مع القوى الآسيوية الكبرى والتي من أهمها الصين والهند واليابان وكوريا الشمالية وغيرها [١٦] وفي هذا المجال كانت دعوة روسيا لتكوين المثلث الاستر اتيجي مع كل من الصين والهند حيث لا تستبعد الدولتان تقارب مصالحهما الإستراتيجية طبقاً للتصور الروسي مع روسيا.

وهناك آراء تقول باحتمالية التقارب الشديد بين روسيا والصين على خلفية الأزمة الروسية–الجورجية الأخيرة بعد أن لمست الصين جدية روسية في مواجهة التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة ورغبة روسيا في معاقبة الغرب عبر تحويل تجارتها المتنامية إلى الشرق الأوسط لاسيما في مجال الطاقة وتحديداً باتجاه الصين [١٧] ورغبة روسيا بتسويق نفطها عبر طرق آمنة تتجه إلى جنوب وشرق آسيا وتعزيز علاقتها بالصين والهند في مواجهة الغرب ودعم أهدافها الإستراتيجية العالمية إلى الحد الذي قد يؤدي إلى تحول قوي في الداخل الروسي باتجاه اختيار روسيا لهويتها (التي لم تحسم وجهتها بعد) ضمن الشرق أوالفضاء الاوراسي ونبذ الهوية الغربية . كما تعتقد روسيا بإمكانية انضمام اليابان لهذا

١٦ –منعم صاحي العمار. نظرة في الأداء السياسي لروسيا. مجلة قضايا دولية العدد (٤٠) مركز الدراسات الد ولية/جامعة بغداد ٢٠٠٠، ص١٧

١٧ –ينظر .ثناء فؤاد. العلاقات الصينية الروسية وتحديات النظام الدولي الجديد. مجلة سياسية دولية. العدد(١٣٧)مركز الأهرام. القاهرة١٩٩٩.

التحالف، إذ أن الي ابان ورغم شراكتها الاقتصادية والإستراتيجية مع الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتجاهل احتمالات حدوث انقلاب في العلاقات الدولية لصالح روسيا وحلفائها[١٨] لاسيما إذا ما نجحت روسيا في حل خلافاتها المتبقية مع اليابان حول عائدية بعض الجزر والسواحل البحرية.

وتحاول روسيا في إطار تنافسها الجديد مع الولايات المتحدة والغرب إقناع القوى الآسيوية بالقناعات الروسية المستندة إلى حتمية صراع الحضارات التي تقودها الولايات المتحدة وحلفائها، سعياً وراء كسب تأييد هذه القوى في مواجهة الإستراتيجية العالمية مع الغرب بشكل عام. وتضرب روسيا مثلاً لذلك في خطط توسيع الناتو التي تتطابق مع خطط الدوائر الحضارية المتصارعة [١٩] اذ تستبعد هذه الخطط روسيا قائدة الحضارة السلافية الأرثوذكسية والصين قائدة الحضارة الكونفوشيوسية والهند قائدة الحضارة الهندوسية فضلاً عن الحضارة العربية والإسلامية . بمعنى أن مهمة توسيع حلف الناتو في تطويق هذه الحضارات لضمان استمرار هيمنة الحضارة الغربية بقيادة الولايات المتحدة إلا أن الجهود الروسية في هذا الإطار غير كافية بالقدر الذي تستطيع فيه مواجهة الولايات المتحدة في هذه الميادين لاسيما في ظل توافر جملة من المعوقات المختلفة للفعل السياسي والاقتصادي والاجتماعي الروسي وأداؤه في هذه المنطقة منها أن اليابان والى حد ما الصين كانت ولا تزال تنصرف في أغلب اهتماماتها إلى محيطها الإقليمي ومجالها الحيوي المباشر ولم تمارس أي منهما على مدى التاريخ دوراً فاعلاً في المنافسة على النفوذ الا ستراتيجي العالمي عكس الحال بالنسبة لروسيا . ولديها علاقات اقتصادية كبيرة مع الولايات المتحدة لا يمكنها المغامرة بها. فضلاً عن وجود أنواع مختلفة من الخلافات البينية بين كل منهما مع روسيا كالخلاف على جزر الكوريل والمياه الإقليمية بين روسيا واليابان . وخشية روسيا من تشجيع الغرب للصين بفسح المجال أمامها للهجرة من أراضيها كثيفة السكان إلى سيبيريا الروسية حيث المكان الواسع وندرة السكان في ظل عجز أي جيش في العالم ومنه الجيش الروسي

١٨ –منعم العمار .نحو عالم متعدد الأقطاب (الإقليم الآسيوي نموذجاً .سلسلة دراسات إستراتيجية .عدد (١٦). مركز الدراسات الدولية.جامعة بغداد ٢٠٠١ ص٥٦ .

١٩ –محمد أسامة .الإستراتيجية الجديدة لحلف الناتو. مجلة السياسة الدولية . العدد(١٤٦) مركز الاهرام٢٠٠١ ص٢٠٩.

من السيطرة على حدود روسيا الشاسعة ومنع تسلل المهاجرين خصوصاً أن روسيا تعاني أصلاً من مشكلة تنامي خطر نقص السكان فضلاً عن تنامي قوة الجيش الصيني الذي يمكن أن يدعم يوماً ما الهجرة الصينية للأراضي الروسية ويخل بالتوازن الديمغرافي والعسكري، كما تقف الدول الغربية إلى جانب فتح باب الهجرة إلى روسيا وتطالب روسيا على الدوام بفتح حدودها أمام الهجرة الدولية لاسيما أمام المهاجرين الصينيين[٢٠] .

أما الهند فإنها هي الأخرى لا تستطيع التفريط بمصالحها الاقتصادية والتقنية والسياسية والعسكرية الكبيرة مع الولايات المتحدة التي تعززت بعد أحداث مومباي الدامية خصوصاً بعد أن وقفت الولايات المتحدة إلى جانب الهند ضد خ صمها التقليدي باكستان . لاسيما بعد أن جعلت الولايات المتحدة بعد فوز أوباما من باكستان وجهتها الجديدة لمحاربة الإرهاب الدولي . لذلك فإن إمكانيات روسيا على الرغم من تحسنها بعد الأزمة الأخيرة لمنافسة الولايات المتحدة في هذه المنطقة لا تزال محدودة خصوصاً إذا ما علمنا أن المنطقة (شرق وجنوب شرق آسيا) بأسرها ترتبط منذ عقود بمعاهدات وتكتلات اقتصادية مع الولايات المتحدة ومنها أيبك [٢١]. أما في مجال تداعيات الأزمة الروسية الجورجية على التنافس الروسي – الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ضمن القارة الآسيوية فإن روسيا تنظر انطلاقاً من زيادة تحركها السياسي والاقتصادي والعسكري الذي أعقب الأزمة إلى الوجود العسكري الأمريكي وما يتبعه من نفوذ سياسي واقتصادي في هذه المنطقة على انه تطويق شامل للأمن الروسي يتكامل مع خطط توسيع الناتو ونشر الدرع الصاروخي ومصدر خطر دائم على المصالح الروسية الإقليمية والدولية. ومن هنا تحاول روسيا أن تتبع مجموعة من الأساليب لا تعني بالضرورة اللجوء إلى القوة العسكرية لإستعادة نفوذها في المنطقة وتدنية خطر التهديد عبر تحرك بطيء منها لمزاحمة الولايات المتحدة تدريجياً لإنهاكها استراتيجياً لحين توافر الفرصة المناسبة للعودة وبقوة إلى المنطقة [٢٢] وإعادة تواجدها العسكري الذي بدأ

---

٢٠ –جميل مطر .الضغوط الغربية على روسيا.مصدر سبق ذكره ص٥٣

٢١ –ينظر في هذا المجال مثلاً حميد ألجميلي . استشراف مستقبل الاقتصاد العالمي في ظل المتغيرات الدولية . حلقة نقاشية . سلسلة المائدة الحرة(٢) بيت الحكمة بغداد . تموز١٩٩٧.

٢٢ –إبراهيم عرفات. روسيا والشرق الأوسط أية عودة. سياسة دولية. العدد(١٧٠) مركز الأهرام. القاهرة٢٠٠٧ ص٧٢.

يتحرك نحو سوريا وإيران وليبيا والمياه الدولية والإقليمية القريبة عبر أسطولها البحري . وأخرى عبر الوسائل الاقتصادية من خلال النجاح في فتح أسواق جديدة في الشرق الأوسط للأسلحة والبضائع الروسية وبأسعا ر تنافسية لاسيما في السعودية وإيران وسوريا وحتى إسرائيل.

أما الوسيلة الثالثة فهي استغلال الموقع الجغرافي والحضاري للمنطقة وقربها من دول آسيا الوسطى ودور المتغير الديني في هذه العلاقة و من ثم استخدام روسيا لعامل التعاون في مسائل حوار الأديان ومكافحة الإرهاب والتقرب أكثر من المجتمعات الإسلامية في المنطقة خصوصاً بعد أن تقدمت بطلب للإنظمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي واستغلال موقفها المؤيد للمواقف العربية لاسيما في م جال القضية الفلسطينية طوال ال مدة السابقة.

وفي هذه المنطقة أيضاً لا يزال الأداء الاستراتيجي الروسي قاصراً على التأثير الفعال إذا ما قورن بالأداء الاستراتيجي الأمريكي إلا أنه بات يتقدم كل يوم خطوة إلى الأمام على صعيد الحضور والتأثير . وبشكل عام فإن معطيات وشروط التنافس الاستراتيجي الروسي مع الولايات المتحدة في آسيا وعلى الرغم من تخلفها عن مثيلتها الأمريكي ة حتى بعد الأزمة الروسية– الجورجية التي أعطت زخماً للفعل الروسي في المحيط الإقليمي والدولي إلا أنها باتت أكثر تقدماً من حيث الهدف والوسيلة والممكنات . وسيعتمد تطورها أكثر على مستقبل تزايد قوة وتكامل الفعل السياسي والاقتصادي الروسي.

٤ –التنافس الاستراتيجي الروسي – الأمريكي في مجال الطاقة والاقتصاد

كان المتغير الاقتصادي وتبعاً لتزايد دوره في نسق النظام العالمي من بين أهم متغيرات الأزمة بين روسيا وجورجيا ومن ثم روسيا والغرب بقيادة الولايات المتحدة وسيكون كذلك من بين أهم المتغيرات التي ستشهد ساحتها التداعيات المستقب لية للازمة لاسيما في مجال التجارة والاستثمار والطاقة ففي الوقت الذي كانت فيه قوة الاقتصاد الروسي التي تزايدت في السنوات الأخيرة عاملاً مشجعاً لروسيا لخوض هذه الحرب وتحمل تبعاتها الاقتصادية فإن جانبًا كبيراً من التنافس الاستراتيجي المستقبلي بين روسيا من ج هة والولايات المتحدة وحلفائها من جهة أخرى سيتركز حول الصراعات الاقتصادية في المجالات الثلاث ة

السابقة (تجارة–استثمار–طاقة).

وقد كانت روسيا عشية اندلاع الأزمة تمتاز بمؤشرات اقتصادية جيدة فبعد أن كان الناتج المحلي الإجمالي الروسي البالغ (٢٥٠) مليار دولار في منتصف التسعينيات من القرن الماضي وكان نظيره الأمريكي يبلغ (٦) تريليون دولار أي ٢٤ ضعف مثيله الروسي. تقلص الفارق إلى سبعة أضعاف فقط قبيل بداية الأزمة (الولايات المتحدة ١٣.٥ تريليون دولار –روسيا١٧٠٠ مليار) كما بلغت نسبة نمو الاقتصاد الروسي ٧% ونسبة التضخم لم تتجاوز ١٠%ونمو الصناعة والزراعة التي باتت تغطي احتياجات الدولة والمجتمع وامتلاك البنك المركزي الروسي لثالث أكبر احتياطي من الذهب في العالم [٢٣] وانتعاش سوق الأسهم والسندات وتحسن مؤشرات الملائة المالية وارتفاع قيمة الروبل الروسي كعملة قابلة لتسوية المدفوعات النقدية واقتراب السوق المالية الروسية من اكتساب سمة السوق أو المركز المالي الإقليمي الأول فضلاً عن ارتفاع الدخول النقدية للسكان وارتفاع نسبة الأجور والتقاعد . وفي هذا المجال وفي إطار تنافسها الاستراتيجي العالمي مع روسيا تسعى ال ولايات المتحدة بالتنسيق مع حلفائها كرد على تفاقم القوة الروسية بعد الأزمة إلى معاقبتها اقتصادياً وتحجيم دورها في إطار الاقتصاد العالمي من خلال سعيها إلى عرقلة عضوية روسيا في منظمة التجارة العالمية وإبعادها من عضوية نادي الدول الصناعية الثمانية (G7+1) فضلاً عن سعيها فور حدوث الأزمة إلى سحب الاستثمارات الأمريكية والغربية من السوق الروسية وتقليص نسب التجارة مع روسيا . كقيامها بممارسة التأثير في أصحاب المحافظ المالية من الأمريكيين والغربيين لسحب ما يقرب من ٢٥ مليار دولار كاستثمارات أجنبية مباشرة من السوق الروسي [٢٤] إلا أن الإمكانيات الأمريكية في فرض عقوبات اقتصادية مختلفة ضد روسيا لا تزال غير حاسمة ولا كافية بالقدر الذي يمكن أن يردع روسيا عن الاستمرار في تنفيذ إستراتيجيتها العالمية الجديدة ولن تؤثر مخرجات الأزمة بشكل عام كثيرا في القدرة

٢٣ –مغاوري شلبي . الاقتصاد الروسي بين آ ليات السوق ورأسمالية التخوم . مجلة سياسية دولية . العدد ١٧٠مركز الأهرام . القاهرة٢٠٠٧ص٥٦

٢٤–احمد دياب. النزاع في القوقاز. حسابات خاطئة وتداعيات إقليمية خطيرة. مجلة السياسة الدولية. العدد(١٧٤) مركز الأهرام . القاهرة ٢٠٠٨ ص٢١٣

الاقتصادية الروسية وحركة النمو المتفاقمة بل ستمنح هذه القوة ر وسيا المزيد من الحرية والمرونة في الحركة السياسية والإستراتيجية لتنفيذ أهدافها مستقبلاً . أما في مجال الطاقة فإن أمنها بالنسبة لروسيا وضرورة السيطرة على خطوط نقلها من روسيا ومن باقي دول المنطقة التي تمر عبر الموانئ الجورجية إلى أوربا وضرورة بقا ها تحت النفوذ الروسي كان عاملاً مهماً من العوامل المؤثرة بالأزمة . فالصراع الدولي حاضراً ومستقبلاً بالنسبة لروسيا وانطلاقاً مما تمثله الطاقة بالنسبة للاقتصاد الروسي وسياستها هو صراع على مصادر الطاقة.

وفي هذا المجال حاولت الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية تقليص سيطر ة روسيا وتحكمها في إنتاج النفط والغاز وتصديرهإلى أوربا من خلال إنشاء خطوط نقل بديلة تمر عبر جورجيا من أذربيجان وتركمانستان وغيرها كبدائل محتملة، ويأتي تجمع جوام عبر تدعيم شراكة أذربيجان وجورجيا وتركيا لإنشاء خط باكو – تلبيسي– اريدروم انتهاءاً بأوربا في هذا الإطار.

إلا أن روسيا فضلاً عن ما حققته من مكاسب في حربها على جورجيا وتأكيد نفوذها في المنطقة وفرض وجهة نظرها بضرورة أن تكون أي مشاريع مستقبلية لنقل الطاقة تمر عبر أراضيها أو بالتنسيق معها وسيطرتها على خطوط نقل الطاقة المارة عبر جورجيا فإنها تملك مزايا ك بيرة في مجال الطاقة تؤهلها أن تكون هي الطرف الأقوى في معادلة التنافس الاستراتيجي مع الولايات المتحدة وأوربا في هذا المجال . فهي مثلاً تحتل المرتبة الثانية في الإنتاج العالمي للنفط والأولى في الاحتياطي والإنتاج العالمي للغاز وتمتلك مشروعات مشتركة عملاقة مع أوربا والولايات المتحدة في مجال النفط والغاز كما استطاعت التغلغل وبشكل كبير في سوق النفط الأوربية . فشركة واحدة من شركاتها التي اشترتها من بريطانيا وهي سنترينا مثلاً توفر الغاز لـ١٢مليون مستهلك ومليون مؤسسة صناعية في بريطانيا فقط[٢٥]. وتسيطر على شبكات نقل الطا قة الممتدة من منطقتها الإقليمية إلى كل من أوربا وآسيا. فضلاً عن احتفاظها بعلاقات وطيدة مع منتجي ومصدري النفط والغاز عبر العالم.

٢٥ –نورهان الشيخ. العلاقات الروسية–الاوراطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية. مصدر سبق ذكره.ص٥٢

وما سعيها لإنشاء منظمة أوبك للغاز التي تظم في عضويتها ١٦دولة منتجة للغاز في العالم لفرض سياسة تسويقية وسعرية مقبولة بالنسبة لها إ لا حلقة في إطار جهودها لتعزيز سطوتها في هذا المجال . وبشكل جعل أوربا على وجه الخصوص خاضعة للإرادة الروسية في هذا المجال وهو الأمر الذي يفسر الموقف الأوربي غير الحازم والذي يمتاز بالمهادنة والارتهان إزاء التحرك الروسي العالمي الجديد لاسيما أن روسيا تتعامل مع المتغيرات الاقتصادية ومنها الطاقة سياسياً، وهي مستعدة كذلك لدفع كلفة اقتصادية كبيرة لتحقيق أهداف سياسية وإستراتيجية إقليمية ودولية وهذا ما تؤكده الأزمة الأخيرة . حيث يرد الروس اهتمامهم بالنفط لارتباطه بالأمن القومي الروسي ويخضعون مشاريع روسيا النفطية المسقبلية لتوقعات مستقبل التوازنات الدولية.

وبشكل عام فإن روسيا تستحوذ على مؤشرات أداء اقتصادية مختلفة لتمكنها من تعزيز موقعها التنافسي الاستراتيجي العالمي الجديد مع الولايات المتحدة . ومن الميادين الأخرى للتنافس الاستراتيجي العالمي بين روسيا والولايات المتحدة ما يتعلق بالعلاقات مع الدول الصغرى والمتوسطة والقوى الإقليمية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والتي صارت تدعى من قبل البعض بأطراف النظام الكوني [٢٦] اذ يسعى كل طرف لكسب تأييد أو تحالف المزيد من هذه الدول في إطار جبهة سياسية واقتصادية وربما عسكرية ضد الطر ف الآخر كما ستشهد الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة المختلفة تنافساً مميزاً . اذ سيحاول كل طرف فرض وجهة نظره حول العالم وتقييمه وتصوره الخاص بإدارة الأزمات الدولية وآليات وأساليب حفظ السلم والأمن الدوليين والتعامل مع المشاكل الدولية..الخ، فضلاً عن سعي روسيا في إطار هذا التنافس إلى تغيير شروط اللعبة الدولية السائدة وتغيير معالم وشكل وهيكل النظام العالمي القائم على أساس تفرد الولايات المتحدة نحو نظام عالمي أكثر تعدداً من حيث الأقطاب الدولية وأكثر توازناً تكون فيه روسيا قطباً أساسياً.

وقد أعطت مخرجات الأزمة الروسية– الجورجية كنقطة مفصلية زخماً كبيراً لر وسيا في هذا الاتجاه لكنه لم يرق إلى الحد الذي تكون فيه روسيا شريكاً كاملاً مع الولايات المتحدة في إدارة هكذا نظام أو أحداث توازن عالمي حقيقي.

---

٢٦ ديفيد ليك وباتريك مورغان . الأنظمة الإقليمية : بناء الأمن في عالم جديد . المستقبل العربي . العدد (٢٤٢) مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت١٩٩٩.ص١٨٩

ولن تكون الثقافة القومية والإرث الحضاري استثناء من قاعدة التنافس الاستراتيجي العالمي بين الطرفين كتداعيات مستقبلية للأزمة الروسية الجورجية لاسيما تلك التي تتعلق بالثقافة القومية والنظام السياسي الروسي حيث ستدفع ضرورات التنافس التي ستعقب الأزمة مع الولايات المتحدة وحلفائها إلى محاولة إظهار النظام السيا سي الروسي السائد بمظهر النظام الاستبدادي الذي يحرص على مصادرة الحريات العامة للشعب وحقوق الفرد الروسي تحت شعار حماية الأمن الروسي والحفاظ على المصالح الروسية العليا . وتقديم الدعم والمساندة المتاحة للأطراف الروسية المطالبة بتحسين حالة العمل النيابي الديمقرا طي. وفي هذا المجال تتهتم الولايات المتحدة والغرب الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بلعب دور اجتماعي وسياسي تسلطي يعارض مبادئ الفردية والنشاط الحر ويطالبون تبعاً لذلك بتقليص دورها .

كما ستعمل الولايات المتحدة وحلفا ؤها على مواصلة وتكثيف حملاتها المناوئة للثقافة الروسية بوصفها تدور ضمن ماضي استبدادي مغلق منذ الثورة البلشفية ١٩١٧ ولحد الآن والدعوة لإعادة بناء هذه الهوية طبقاً للأ نموذج الغربي بعيداً من أحلام الإمبراطورية وأمجاد الماضي.

بينما يرى الروس أن القوة الدافعة التي تقف وراء سر مجدهم وقوتهم وتلهمهم لوازم إدامة النهوض لا تكمن في قوتهم العسكرية والاقتصادية فقط بل في ثقافتهم التي لا تعترف بأساليب محاكاة الثقافات الأخرى وتعتمد بشكل أساس على تعاليم ومبادئ الكنيسة الأرثوذكسية. وهذا ما يدفعنا لنؤيد الرأي القائل بأن السبب الرئيس لكراهية الروس للولايات المتحدة وحلفائها الغربيين يكمن في انتقادهم المستمر لمنظومة القيم الروسية وثقافتها واعتبار الشعب الروسي وثقافته غير مؤهلين لممارسة الديمقراطية. بل هناك من يغالي في هذا الشأن عندما يرى أن حقيقة الصراع بين روسيا والولايات المتحدة هو صراع حضاري ثقافي ديني بين روسيا الأرثوذكسية والغرب الكاثوليكي البروتستانتي.

وخلاصة القول فإن التنافس الاستراتيجي العالمي بين روسيا والولايات المتحدة الذي سيتعزز بعد هذه الأزمة سيبقى غير متوازن . حيث يكون الطرف الأمريكي هو الطرف الأقوى على الأقل خلال المستقبل المتوسط . فضلاً عن أن الإستشراف المستقبلي يم يل إلى ترجيح احتمالية سير ذلك التنافس في إطار من المصالح والتفاهمات المشتركة بين الطرفين

ستحكم وترشد مساراته وأساليب إدارته بالقدر الذي يضمن عدم التصادم والتقاطع التام بين القوتين العالميتين.

ثانياً: تداعيات الأزمة على علاقات روسيا بحلف الناتو

لقد ضل حلف الناتو ومنذ نشأته عام ١٩٤٩ متأثراً بشكل حاسم بتوجهات السياسة الأمريكية وخياراتها الإستراتيجية ومستجيباً لتطوراتها [٢٧] فلم يكن توجه الحلف خلال المراحل المختلفة للنظام السياسي العالمي إلا انعك اساً لهذه السياسة الأمريكية ترمي من خلاله الاحتفاظ بقيادتها للعالم ع بر أحد أهم مفاتيحه ألا وهو أوربا بغربها (الحليف القديم) وشرقها (الحليف الجديد). لذلك فأننا لا نذهب بعيداً عن موضوع تداعيات الأزمة الروسية الجورجية على العلاقات الروسية الأمريكية بهذه المقارنة. فلطالما كان الحلف ولا يزال ومن المتوقع أن يبقى كذلك جزءاً لا يتجزأ من أدوات تنفيذ السياسة الأمريكية ووسائلها وإستراتيجيتها العالمية لاسيما تلك التي تتعلق بأهدافها في أوربا وروسيا في الوقت نفسه الذي ترى فيه روسيا رمزاً من رموز الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم ووسيلة للتضييق على روسيا وإضعاف دورها الإقليمي وتطلعاته بوصفها المؤسسة العسكرية الوحيدة والأقوى التي تملكها الولايات المتحدة وتستطيع من خلالها الإبقاء على نفوذها في أوربا ومد اذرعها العسكرية وبقوة إلى حدود روسيا.

ومن هنا يمكننا القول أن حلف الناتو والمتغيرات ذات الصلة بإجراءات التوسيع لشموله على أعضاء جدد كانوا يوماً ما جزءاً من الاتحاد السوفيتي أو يقعون في دائرة نفوذه المباشرة ومن بعده دائرة نفوذ الوريث الروسي فضلاً عن تغير وتمدد أهدافه ورؤاه للقضايا الإقليمية والدولية كان جزءا من الأزمة ودافعاً وراء الرد الروسي العسكري الحاسم تجاه جورجيا . كما سيكون موضعاً مهم اً من المواضيع التي ستشهد ساحتها تداعيات هذه الأزمة عبر التفاعلات المتوقع ة بينه وبين روسيا الاتحادية على خلفية ملابسات الأزمة.

فبعد انهيار الإتحاد السوفيتي وانحلال حلف وارسو الذي كان منافساً لحلف الناتو ودخول روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي في غيبوبة سياسية و اقتصادية وعسكرية استمرت

---

٢٧ – للتفصيل في هذا الموضوع ينظر على سبيل المثال لا الحصر. نزار الحيالي دور حلف شمال الأطلسي بعد الحرب الباردة . كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد ١٩٩٨

خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، أصبح الباب مفتوحاً أمام إمكانية تحقيق التطلعات الأمريكية عبر حلف الناتو الرامية للوصول إلى أوربا الشرقية وجمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق وصولاً إلى الحدود الروسية واستغلالها لوضع استراتيجيات ا لولايات المتحدة والناتو الخاصة بمحاصرة وإضعاف وإخضاع روسيا موضع التنفيذ وذلك من خلال برامج التوسع التي أطلقها الناتو لاستيعاب أعضاء جدد ضمن خطة منهجية بدأت بالمرحلة التمهيدية وهي فتح الباب أمام العضوية عام ١٩٩٤ مروراً بإرغام روسيا على الموافقة على برامج تو سيع الحلف ضمن اتفاق باريس عام ١٩٩٧ أو ما تعرف باللائحة التأسيسية التي تنازلت بموجبها روسيا عن مناطق نفوذها في أوربا الشرقية لصالح حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة [٢٨] وقد كانت أغلب دول أوربا الشرقية فضلاً عن دول البلطيق الثلاث من بين الدول التي أنظمت ارتهاء بالمرحلة الأخيرة للتوسيع التي تنتهي عام ٢٠١٠ وتكون فيها باقي دول أوربا الشرقية انضمت للحلف فضلاً عن جورجيا وأوكرانيا وربما بعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأخرى وقد رفعت الولايات المتحدة وحلفاؤها في الناتو شعار التوسيع بغض النظر عن موقف روسيا وهو الأمر الذي اثأر كثيراً حفيظة روسيا تجاه خطط التوسيع دون أن يؤدي ذلك التحفظ إلى وقف خطط الناتو بالتوسع نحوها آنذاك . وقد كانت دوافع توسيع الحلف باتجاه روسيا بحد ذاتها عملاً عدائياً طبقاً للتصور الروسي تستدعي الرد وتظهر الحلف في صورة عدوانية وتساعد على إعادة تقسيم العالم أو تقسيم أوربا على الأقل . وما يدعم صحة الخطاب السياسي الروسي الذي يصر على أن النزعة العدوانية في عملية توسيع الحلف حاضرة وبشدة في أهداف الحلف وعقيدته العسكرية الجديدة هي أن أحد أهم دوافع الحلف في التوسيع هي الحيلولة دون عودة روسيا لممارسة سياسة قيصرية جديدة تخل بالتوازن والاستقرار في المنطقة والوقوف بوجه الخطر الروسي في حالة سقوط روسيا في يد نخبة سياسية متطرفة تسعى إلى تحقيق المصالح الروسية القومية [٢٩] وحتى لو تم تحييد

٢٨- ينظر في هذا المجال مثلاً . محمد جواد علي . حلف شمال الاطلسي والوظائف الجديدة . مجلة قضايا دولية . مركز الدراسات الدولية . جامعة بغداد ٢٠٠٠. وكذلك ابراهيم عرفات . روسيا والناتو الجديد قراءة في مدلولات اللائحة التأسيسية . سياسة دولية. العدد(١٢٩) مركز الأهرام. القاهرة ١٩٩٧

٢٩ –محمد اسامة. الاستراتيجية الجديدة لحلف الناتو. مجلة سياسية دولية. العدد(١٤٦). مركز الاهرام. القاهرة.٢٠٠١ص٢٠٧

التفسيرات المتضاربة لطرفي الخلاف (روسيا–الناتو) لأهداف ودوافع التوسع فإن حقيقة النيات الأمريكية في هذا المجال تكمن في استخدام معطيات وظروف توسيع الناتو لمواجهة الاحتمالات المطروحة لمستقبل روسيا . اذ تسعى الولايات المتحدة عبر توسيع الناتو وتعديل عقيدته العسكرية لإجهاض احتمال نهوض روسيا من خلال استحضار عوامل قوتها عبر التاريخ الحديث وتفعيلها مجدداً. عبر تعطيل ذلك الاحتمال ومنع روسيا من تأدية أي دور إقليمي أو عالمي مستقبلي مهم في إطار الأهداف الكبرى للإستراتيجية ال عالمية للولايات المتحدة ومن ورائها حلف الناتو لاسيما بعد التبدل الذي طرأ على إستراتيجية الناتو وعقيدته العسكرية باتجاه التحول من إستراتيجية دفاعية محددة بنطاق جغرافي إلى إستراتيجية تغييرية متحركة لا تعترف بأي تحديد لدورها الاستراتيجي جغرافياً في إطار ما يعرف بمفهوم المصالح الأمنية المشتركة[٣٠] وقد كانت كل من جورجيا وأوكرانيا جزءاً مهماً منه لاستكمال أهداف هذه الإستراتيجية وهو الأمر الذي أدركه صناع القرار والمفكر ون الاستراتيجيو ن الروس جيداً ووضعوا الخطط والأفكار الإستراتيجية مؤخراً على مواجهته بقوة عبر قيادة هجوم استباقي عبر ضرب أهداف إستراتيجية الناتو ذات الصلة وتعطيل أدواتها عبر عملية شاملة كانت الأزمة الأخيرة مع جورجيا إحدى جزئياتها. ويسعى الناتو بقيادة الولايات المتحدة من وراء توسيع حدوده باتجاه روسيا وأن تكون جورجيا وأوكرانيا جزءاً من منظومته إلى أن تصبح الحدود الجنوبية لروسيا بتماس مباشر مع حدود قوات الناتو بعد أن كانت قوات الحلف خارج حدود أوربا الشرقية، مما يعني إمكانية تطويق وع زل روسيا وقصر مدة الإنذار للقوات الروسية لقصر المسافة بين قوات الناتو والقوات الروسية . ولطالما كانت روسيا تعارض انضمام كل من بولندا و المجر وتشيكيا للناتو لأنها تعد ها خط الدفاع الأول عن حدودها والعمق الاستراتيجي للإنذار عن أي تهديد من الناتو في أية عملية ع سكرية يقوم بها الحلف ضدها . اذ ستفقد روسيا هذه الميزة بسبب توسي ع الحلف باتجاهها لاسيما إذا ما تم نشر قوات وأسلحة الحلف في بولندا وجورجيا و أوكرانيا بما يهدد المصالح الأمنية الحيوية لروسيا خاصة بعد تغير الوضع الجيوستراتيجي في أوربا بعد انسحاب القوات

٣٠ –هيثم الكيلاني وآخرون. كوسوفو وحلف شمال الأطلسي. حلقة نقاشية. مجلة المستقبل العربي. العدد (٢٤٥) مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ١٩٩٩ ص١٣١

الروسية من شرقها . وهو الأمر الذي يجعل الشطر الأوربي من روسيا في مرمى أسلحة الحلف التكتيكية وليس الإستراتيجية فقط، وبشكل يدفع روسيا إلى تكثيف الإنفاق العسكري لإدامة ارتفاع وتحفيز الاستعداد الدائم للقوات الروسية نتيجة هذا الاقتراب ويرهق كاهل ميزانية الدفاع الروسية. وقد كانت روسيا دوماً ترى في طموحات الولايات المتحدة والناتو بالاقتراب من حدودها تجري في إطار فكرة جيوسياسية قديمة تعود إلى فكرة تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين التي نصت على إبعاد روسيا إلى أعماق أوراسيا في شمال القارة وإضعاف ما يعرف بأهمية موقعها الوسطي (اوراسيا) أي احتوائها من جنوبها الشرقي[٣١] .

وما يُعقد من مهمة روسيا في التعامل البنّاء مع حلف الناتو ويدفعها نحو مضاعفة جهودها في مجال الإنفاق العسكري لمواجهة الاقتراب العسكري والأمني للناتو ويدفعها كذلك لإتخاذ تدابير أمنية إستباقية هو تنصّل النات و عن تعهداته السابقة بعدم نشر أو تخزين أسلحة إستراتيجية بشكل عام أو نووية في أوربا الشرقية . فقد أعلن الحلف عن عزمه نشر أجزاء من الدرع الصاروخي الأمريكي في بولندا والمجر والإعلان عن استعداد الحلف للبدء بضم جورجيا وأوكرانيا والسعي للوصول أخيرا إلى جمهوري ات آسيا ا لوسطى التي تعد خطاً أحمر لروسيا. لذلك ألغت روسيا تعاونها مع حلف الناتو في مجال تزويده بالمعلومات عن قواتها المتبقية في بعض أجزاء القارة الأوربية [٣٢] وأقدمت على مواجهة جورجيا بالقوة العسكرية المفرطة كجزء من ردها على خطط الولايات المتحدة والناتو بمحاصرتها وإض عافها بالتزامن مع توعدها لبولندا بإمكانية استخدام السلاح النووي ضدها إذا ما أقدمت على نشر الدرع الصاروخي الأمريكي على أراضيها [٣٣] وقد بدت روسيا عاقدة العز م لمواجهة النفوذ الأمريكي وكسر الحصار الأمني والاستراتيجي الذي تحاول الولايات المتحدة والناتو فرضه على أدوارها الإقليمية والعالمية عبر إدارتها للازمة مع جورجيا . التي أرادت من خلالها فضلاً عن تأكيد دورها العالمي كقوة دولية كبرى تأكيد استعدادها لتكرار استخدام القوة

٣١ –الدار العربية للدراسات والنشر . روسيا وحلف شمال الأطلسي. نشرة تقديرات إستراتيجية. العدد١٦القاهرة١٩٩٥ص٣٢

٣٢ –محمد السيد سليم. التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية. مصدر سبق ذكره .ص٤٢

٣٣ –أحمد دياب . النزاع في القوقاز حسابات خاطئة وتداعيات إقليمية خطيرة. مجلة السياسة الدولية. العدد ١٧٤ مركز الأهرام . القاهرة٢٠٠٨ص٢١٠

العسكرية ضد أي طرف دولي يعرض مصالحها القومية للخطر ورد على إصرار ودعم الولايات المتحدة والنات و لاستقلال كوسوفو ورد على محاولة الناتو ضم جورجيا إلى عضويته.

وفي هذا المجال نجحت روسيا في إرغام الناتو على التنازل عن فكرة ضم جورجيا و تأخير انضمامها على اقل تقدير وبشكل يمنح روسيا المزيد من الوقت لتصحيح أوضاعها الداخلية والاستعداد للمواجهة المقبلة. كما أن روسيا نجحت في إقامة منطقة عازلة موالية لها لفصل حدودها عن جورجيا وإبعاد حدودها عن حدود الناتو إذا ما انضمت جورجيا لعضويته لاحقاً وإقناع جورجيا وباقي دول المنطقة بان مصالحها تكمن في التعاون والتقارب معها والابتعاد عن المخططات الأمريكية ومخططات الناتو التي تلحق الضرر بالمصالح الروسية وإقناع الدول الراغبة منها بالانضمام للناتو بأن الطرف الوحيد القادر على ترتيب أوضاع المنطقة أوالعبث بمصالحها ولا يستطيع الناتو أو الولايات المتحدة كقائد للناتو فعل شيء إزاءه هو روسيا.

وفي إطار تداعيات الأزمة بين روسيا وجورجيا وام تداداتها الإقليمية والدولية على علاقات روسيا بالناتو بقيادة الولايات المتحدة استرجعت الذاكرة الروسية المتجسدة في صناع القرار وقادة الفكر الاستراتيجي والأدباء وقادة الرأي العام ...الخ دروس وعبر التاريخ وتجارب روسيا السابقة مع الناتو لتزداد رسوخاً في عقيدتهم الجديدة التي ترسخت على اثر الأزمة الأخيرة مع جورجيا لاسيما بعد أن وقف الغرب الذي يمثله الناتو إلى جانب جورجيا فقط لان روسيا هي احد طرفي النزاع حسب رأي الروس. فقد كانت مهمة الناتو الأولى دائماً مواجهة روسيا ومحاصرة نفوذها وعزلها عن حركتها السياسية [٣٤] منذ عهد الاتحاد السوفيتي ولحد الآن وستبقى أهم مهام الحلف في طوره الجديد هي محاصرة وردع الحضارة الروسية السلافية الأرثوذكسية في إطار صراع الحضارات لضمان استمرار الهيمنة الحضارية الغربية بقيادة الولايات المتحدة. رغم بروز بوادر خلاف بين بعض الحضارات والقوى الفرعية داخل الحضارة الغربية. لذلك تعمل روسيا في إطار مواجهتها الجديدة مع الولايات المتحدة والناتو

٣٤ –نزار الحي الي. روسيا وخيار نظام أمني إقليمي . مجلة قضايا دولية . العدد (٤٠) مركز الدراسات الدولية . جامعة بغداد ٢٠٠٠ص٢٧

على محاولة شق صف وحدة ا لناتو من خلال سعيها لخلق تقارب متزايد ومنهجي ربما يتطور إلى تحالف مع عدد من الدول الأوربية التي تشهد نمواً في القوى اليمينية الطامحة لتأدية دور أوسع نطاقاً وأكثر استقلالية عن الولايات المتحدة في إطار الناتو (كفرنسا، ألمانيا، بلجيكا وربما ايطاليا) حيث ستدعم روسيا رغبة هذه الدول في إيجاد سياسة أمنية مستقلة عن الولايات المتحدة في إطار الناتو وطرح نفسها كشريك لأوربا وإبداء استعدادها لتوفير المظلة النووية للقارة الأوربية كبديل عن المظلة النووية الأمريكية لاسيما وأن روسيا كانت قد اتخذت موقفاً ايجابياً من البداية إزاء توسع الاتحاد الأوربي السلمي نحو حدودها ولم تبد أي معارضة في هذا الاتجاه إلى الدرجة التي أصبحت فيها راغبة بالانضمام إلى عضويته سعياً منها لإشاعة أجواء الثقة مع الإطراف الأوربية الفاعلة فيه والتي ترى في أن تكون العلاقة مع روسيا علاقة حليف أو جار وليس عدو فضلاً عن خشيتها من أن تحمل خطط توسيع الناتو لمناطق جديدة خفايا صراعات دينية وعرقية ومنافسات سياسية بشكل يدخل أوربا من جديد في دائرة التهديد المباشر[٣٥].

وفي الوقت نفسه فإن روسيا ستمضي في إستراتيجيته ا القائمة على أساس أما النجاح في ترويض وكبح جماح الناتو وقيادته المتمثلة بالولايات المتحدة وما يحمله لها من تهديد وأما المضي قدماً في إستراتيجيتها الجديدة القائمة على المواجهة والاستباق وتعزيز مكانتها العسكرية وحضورها الأمني والسياسي العالمي. وفرض صياغة جديدة لطبيعة الأمن الأوربي بالقوة وهو الأمر الذي بدت ملامحه تظهر بشكل واضح بعد الأزمة الأخيرة عندما أجبرت سياسة روسيا الجديدة الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوربي على دعوة روسيا للدخول في جولة جديدة حول صياغة مفهوم جديد للأمن الأوربي تكون فيه روسيا ركناً أساسيا لأول مرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، بعدما ضمنت روسيا وقوف العديد من دول المنطقة إلى جانبها ولاسيما منها دول آسيا الوسطى التي فضلت أخيراً التعاون العسكري مع روسيا على الانضمام لحلف الناتو وأعلنت عن رغبتها بالاستظلال بالحماية الروسية. إلا أن جهود روسيا الحالية والمستقبلية التي ستتعزز بعد الأزمة الأخيرة في إطار تصاعد وتيرة

٣٥ – تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٥

www.nato.int/docu/review/2007/issue3arabic/analysis1:html

التنافس لإضعاف الجبهة الداخلية من الناتو أو تهديد القيادة الأمريكية له وتعزيز الاتجاهات الاستقلالية لبعض الأطراف الأوربية في إطار الحلف ستبقى محدودة لجملة من الاسباب منها أن الولايات المتحدة وحسب الرأي الأوربي أقوى من كل دول العالم وهي الوحيدة القادرة على نشر قوتها العسكرية في كل بقاع العالم فضلاً عن رغبة الولايات المتحدة الجامحة في استمرار سيطرتها على الحلف وعلى الشؤون الأوربيةة فإن الأوربيين يجدون أنفسهم مطمأنين أكثر في كنف هذه القوة في إطار التحالف والدفاع المتبادل كما أن الأوربيي ن يرون اليوم أكثر من أي وقت مضى أن أوربا الشرقية والغربية ما كان لها أن تتوحد لولا جهود الولايات المتحدة ولما كانت أوربا لتصل إلى حريتها بدون الأمريك يين عبر آليات كثيرة أهمها حلف الناتو.

ومن هنا فإن للأوربيين أسبابهم الكثيرة للاعتراف بجدوى الناتو والقيادة الأمريكية لذلك فإن الخلافات بين الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية تبدو دائماً قابلة للحل ولا تهدد التجانس السياسي والعسكري للناتو ولاسيما أن الولا يات المتحدة اتخذت موقفاً ايجابياً من الوحدة الأوربية طوال مدة مسيرتها التكاملية لتجعل منها الدعامة المساندة للناتو [٣٦]. كما أن جميع دول أوربا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق التي ترغب بالانضمام إلى الناتو ليس لديها الرغبة بالخضوع لقيادة أوربية (أوربا الغربية) وتفضل وجود القيادة الأمريكية ومن ثم هي مرتبطة بشكل اقوى مع الولايات المتحدة سياسياً وامنياً عبر الناتو تدعمها في ذلك بعض دول أوربا الغربية كبريطانيا واسبانيا[٣٧] وهو الأمر الذي يعقّد من مهمة روسيا في التأثير على طبيعة التماسك العضوي للناتو بالا عتماد على نزعات الاستقلال وسيادة أوربا في نفسها لدى بعض القوى الأوربية لسحب البساط من تحت القيادة الأمريكية . بل أن المعارضة الفرنسية والألمانية كأهم طرفين يرفضان الهيمنة الأمريكية على شؤون الحلف لم تصل إلى حد التقاطع أو الاختلاف الجذري، وغالباً ما تتفق ها تان الدولتان مع الطروحات الأمريكية حول شؤون الحلف أكثر من اختلافها . فألمانيا بدت مؤيدة لتوسيع الحلف نحو

٣٦ –هلموت شميت. حلف شمال الأطلسي في القرن الحادي والعشرين . ترجمة مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية . مجلة آفاق عربية العدد١ عمان ٢٠٠١ص١٢٢

٣٧ –عمر الشوبكي. أوربا من السوق إلى الاتحاد صناعة وحدة . مصدر سبق ذكره.ص١٦

روسيا ليشمل دول أقرب منها إلى الحدود الروسية . فبدلاً من أن تكون هي الحد الشرقي الحارس للناتو تجاه روسيا ستكون بولندا هي الأرض التي يدور فيها القتال مع ر وسيا إذا حدث، فضلاً عما يوفره الحلف لها من نفوذ في شرق أوربا وتقليل نفوذ روسيا في هذا الجزء المهم من أوربا. وحتى الدول الأوربية التي لا توافق على توسع الحلف نحو روسيا لما يحمله من مخاطر على الأمن الأوربي فإنها توافق عليه كثمن لاستمرار روابط الأمن عبر الأطلسي وضمان المساهمة الأمريكية في ضمان الأمن الأوربي . وفي هذا الصدد فإن خيارات روسيا في التأثير في الجبهة الداخلية للحلف لصالحها في إطار تنافسها الجديد الذي سيعقب الأزمة الأخيرة مع الولايات المتحدة والذي يعد الصراع على دور الناتو الإقليمي والعالمي ودور الولايات المتحدة فيه أحد أهم مجالاته لا تزال محدودة.

إلا أن تأثير روسيا في مجال إجبار الحلف على أعاد النظر في سياسته وعقيدته العسكرية الخاصة بروسيا قد ازداد . كما أن الشيء الذي أصبح مؤكداً في علاقة روسيا بالولايات المتحدة والناتو الجديدة بعد الأزمة هو تعدد وتنوع الخيارات الروسية التي بدت أكثر إقناعا وواقعية وأكثر استعداداً لاستخدام القوة العسكرية ضد الحلف أو أحد أعضائه إذا ما رأت روسيا أو قررت انه سيلحق الضر ر بمصالحها المختلفة وحسب الأولوية التي تمثلها تلك المصالح وهو ما يجعل احتمالية الصدام العسكري المباشر بين رو سيا والناتو أو أحد أعضائه بعد الأزمة أكبر منه قبل الأزمة وبشكل يدفع الطرفين وبقوة إلى إعادة تقييم شاملة لطبيعة العلاقة الجديدة بينهما لتفادي الدخول في أزمة دولية كبيرة . كما ستحرز روسيا في إطار تداعيات الأزمة الروسية–الجورجية على صعيد العلاقة مع الناتو نجا حا في ردع الناتو عن تجاوز منظومة المصالح والخيارات الروسية الإقليمية والدولية لاسيما في مجال الجوار القريب لروسيا فضلاً عن نجاحها في ردع الجوار القريب أو الأقرب عن التفكير بالتقرب أكثر من حلف الناتو على حساب العلاقة والقر ب مع روسيا وإرغام الحلف على إشراك روسيا في الترتيبات الأمنية في مناطق النفوذ المتنازع عليها في آسيا وأوربا وربما في العالم اجمع على أن تكون روسيا طرفاً وفاعلاً حقيقياً في أي شراكة مستقبلية مع الناتو .

ثالثاً تداعيات الأزمة على إعادة سباق التسلح

جاءت الأزمة الروسية الجورجية الأخيرة في إطار إع ادة إنتاج واستئنا ف روسيا

لإستراتيجية عسكرية تغييرية هدفها اس تيعاب الوضع الجديد وإبداء الكفاي ة والمرونة في التعامل معه سواء الذي أصبحت عليه من حيث المعطيات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإقليمية الدولية...الخ. أو ذلك الذي يتعلق بطبيعة البيئة العالمية والا ستراتيجيات المختلفة والأهداف والادوار المتضاربة أو المتفاعلة في إطارها مع الأهداف والاستراتيجيات والأدوار الروسية.

وتقوم هذه الإستراتيجية الجديدة التي بدت ملامحها تتضح مع بداية القرن الحادي والعشرين على أساس ركيزتين أساسيتين هما العقيدة العسكرية وإعادة بر امج تحديث السلاح الروسي وبقوة. وقد كانت الأزمة الأخيرة وتداعياتها إقليمياً ودولياً بمثابة الاختبار الأول الأكثر وضوحاً لهذه الإستراتيجية المستندة إلى العقيدة العسكرية الجديدة . حيث ستعمل الأزمة على تعزيزها وتس هم في إيقاظ روح التنافس العسكري بين روسيا والولا يات المتحدة كأكبر قوتين عسكريتين في العالم.

ففيما يتعلق بالعقيدة العسكرية الروسية فقد أثبتت المعطيات الخاصة بالأزمة وحيثياتها المتشعبة لاسيما التي تتصل بالجانب الروسي . إن روسيا وكجزء من عقيدتها العسكرية الجديدة قد أعادت العمل بالخطط العسكرية القتالية القائ مة على أساس استخدام القوة العسكرية في علاقاتها الدولية أو التلويح بها ضد الأطراف التي تراها يمكن أن تمثل تهديداً للمصالح الإستراتيجية لروسيا، وقد كانت القوة المستخدمة ضد جورجيا مثالاً قابلاً للتكرار في هذا الصدد . كما تشمل هذه العقيدة تطوير متغيرات الردع ال روسي من خلال تحقيق المصداقية اللازمة لنجاح متغير التهديد أي التلويح باستخدام القوة العسكرية كتلويحها بجعل أوربا عرضة للصوراريخ البالستية الروسية بالغة التدمير إذا ما أصرت على استخدام منظومة الدرع الصاروخي الأمريكية ضد روسيا. فضلاً عن تهديدها وتوعدها لبولندا بإمكانية استخدام السلاح النووي ضدها إذا ما أقدمت على نشر الدرع الصاروخي على أراضيها [٣٨] بمعنى دفعها لمتغير الرعب من جديد في معادلة خلق التوازن العسكري من جديد مع معسكر الولايات المتحدة وحلفائها في الناتو.

٣٨ –أحمد دياب . النزاع في الوقاز حسابات خاطئة وتداعيات خطيرة. مصدر سبق ذكره ص٢١٠

في حين استغلت الولايات المتحدة أجواء هذه التهديدات الروسية للدول المجاورة والأوربية بما يتيح لها استعادة أجواء الحرب الباردة وتكرار انتقاد سلوك روسيا المتسلط ضد جيرانها وإثارة مخاوف شعوب المنطقة للإسراع على الموافقة بالانضمام إلى مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي.

كما شملت العقيدة العسكرية الجديدة على تنفيذ سي اسة الانتشار العسكري عبر العالم عن طريق الأسطول العسكري الذي أخذ فور تفجر الأزمة يجوب البحار والمحيطات أو عن طريق الشروع بسلسلة مناورا ت مشتركة مع عدد من الدول كالمناورات العسكرية بالذخيرة الحية مع فنزويلا وتركيا وكوبا وليبيا وسوريا ..الخ. وتكثيف النشاط العسكري للقطع البحرية عبر التحكم بميناء بوتي الجورجي وتفتيش السفن العسكرية التي تصل إليه ومنها السفن الأمريكية. وزيادة التواجد العسكري في البحر الأسود والخلجان والمضايق والبحار والمحيطات لاسيما في خليج عدن والبحر المتوسط والمحيط الهادي كجزء من إستراتيجية الإنتشار والتواجد العسكري المستمر عبر أجزاء العالم المختلفة لاسيما الإستراتيجية منها . فضلاً عن التوسع في سياسة تصدير السلاح لتستعيد روسيا مكانتها كأكبر مصدر للسلاح في العالم وهو الأمر الذي يصب في مجال تعزيز هيبتها الدولية من جهة وتحسين مؤشرات أدائها الاقتصادي من جهة أخرى. وفي هذا المجال فإن هناك آراء لم تصل بعد إلى إجماع ترى وجود توافق روسي أمريكي منذ زمن الحرب الباردة وقد تعزز عبر الأزم ة الأخيرة بعدم إمكانية مواصلتهما صناعتهما العسكري بنجاح وترجمتها إلى منتجات تُباع وتُشترى إلا إذا استمرت التوترات الدولية على أعلى مستوى وأوسع مدى [٣٩] وبما يعني عدم استبعاد فكرة توافق الطرفين وعبر الأزمة الروسية– الجورجية لإدامة وتعزيز التنافس والتوتر الدولي وتبعاً لذلك أدامة زخم الإنتاج العسكري.

وأخيراً فقد اشتملت العقيدة العسكرية الروسية الجديدة على مهمة استعادة المؤسسة العسكرية الروسية لهيبتها وانضباطها وتطوير القدرات القتالية والعلمية لإفراد الجيش الروسي.

٣٩ –جميل مطر. الضغوط الغربية على روسيا. مصدر سبق ذكره ص٤٣

عموماً فإن الأمر الأكثر أهمية في مجال العقيدة الروسية الجديدة الذي يتصل بموضوع تداعيات الأزمة الروسية– الجورجية على العلاقات الروسية الأمريكية هو أن مخرجات هذه العقيدة ستجعل من احتمالية التنافس الحاد أو التصادم العسكري المباشر أو بالنيابة بين الولايات المتحدة وروسيا أكثر رجحاناً من أي وقت مضى وبشكل يزيد من حالة التأزم والتوتر بين الطرفين بشكل خاص وفي العالم بشكل عام ويعيد العالم إلى نوع من الاستقطاب العسكري الجديد . إما في مجال بـرامج تحديث السلاح الروسي فقد تضافرت جملة من المتغيرات المرتبطة لصياغة بناءها ومسوغاتها الفكرية والعلمية. فزيادة على شروط ومتطلبات الدور السياسي الروسي العالمي الجديد الذي يقوم على أساس قوة عسكرية عظمى ومتكاملة مع بعضها فإن تداعيات الأزمة قد عززت من ضرورة وإلحاح تحقيق تلك الشروط. فضلاً عن أثر الدوافع الإستراتيجية الرئيس ة لبرنامج الدرع الصاروخي الأمريكي المتمثلة بمواجهة الخطر القادم من الشرق (الصين، روسيا، كوريا الشمالية، الهند، باكستان) (وقد كان الخطر الروسي هو المقصود نظراً لقدرة روسيا الفائقة على التنفيذ و النجاح في المجال العسكري) وهو الأمر الذي يعني بالنسبة لروسيا إلغاء معاهدة الحد من الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية لعام ١٩٧٢ من طرف الولايات المتحدة ضمناً الأمر الذي دفع روسيا إلى إلغاءها صراحة من جانبها . وبذلك تم إلغاء حجر الزاوية للتوازن الاستراتيجي بي ن الطرفين وهو الأمر الذي يعني إطلاق يد روسيا من جديد لاستئناف تعزيز ترسانتها العسكرية في الجانبين الاستراتيجي والتقليدي . للحيلولة دون نسف قواعد التوازن العسكري بين الطرفين ونسف سلاح الردع الروسي عبر تحصين الولايات المتحدة وحلفاءها من التعرض لهجوم صاروخي وتقليل دائرة الخطر الى ابعد الحدود وإبقاء روسيا وحلفائها وباقي دول العالم في دائرة الخطر بما يضمن للولايات المتحدة إحكام سيطرتها التامة على شؤون العالم . لذلك شرعت روسيا بإلغاء معاهدة القوات التقليدية في أوربا في صيغتها الأولى التي تضع على روسيا قيوداً أو حدوداً على نشر خمسة أنوع من الأسلحة الهجومية في مناطق وسط وشرق أوربا والمنطقة الثانية في لينكراد وشمال القوقا ز بعد أن كانت تطالب بتعديله ا تبعاً للظروف المستجدة لاسيما بعد أن أعلنت الولايات المتحدة وحلف الناتو نشر عشر بطاريات صواريخ اعتراضية ضمن برنامج الدرع الصاروخي في بولندا وأجهزة خاصة بالدرع الصاروخي في

تشيكيا والمجر ووصول قوات الناتو إلى القرب من الحدود الروسية الأمر الذي يفرض على روسيا مضاعفة الإنفاق العسكري الخاص بزيادة التحركات والمناورات العسكرية من جهة وزيادة الإنفاق العسكري لإدامة الاستعداد للقوات ا لروسية نتيجة هذا الاقتراب العسكري الذي نتج عنه قصر مسافة الإنذار للقوات الروسية . ومن هنا أعطت روسيا لنفسها الحق في استئناف نشاطها العسكري في مجال الغواصات النووية واستئناف نشاطات القاذفات بعيدة المدى نوع (Tu95-Tu150) القادرة على حمل رؤوس نووية وصواريخ بعيد ة المدى بما يمثل تهديدا استراتيجيا للولايات المتحدة وحلفائها خاصة مع اقتراب هذه القاذفات من سواحل بريطانيا والنرويج وقاعدة كوام وولاية ألاسكا الأمريكية[٤٠].

وقد قامت روسيا مؤخراً بتزويد أسطولها الجوي بعدد كبير من الطائرات المقاتلة من نوع (Su30) ذات المحتوى التقني المتميز التي تتبع إلى الجيل الخامس من الطائرات الحربية المتقدمة متعددة المهام اذ تعمل كمقاتلة وقاذفة واعتراضية في الوقت نفسه[٤١]. كما أن وزارة الدفاع الروسية بالاشتراك مع الكرملن كانت قد وضعت مؤخراً خطة تنموية تبدأ عام٢٠٠٨ وتستمر لعام٢٠١٥ بميزانية قدرها ٢٠٠مليار دولار لتطوير نوعيات متقدمة من الصواريخ، حيث ستضيف روسيا ضمن هذه الخطة إلى ترسانتها النووية سبعة صواريخ نووية سنوياً فضلاً عن تقديم ١٧ صاروخاً نووياً دفعة واحدة وإضافة ٣٤ صاروخاً نوع (deasab-olis) طراز (m-lopot) فضلاً عن نجاحها في تصنيع وسائل عس كرية مختلفة مضادة للدرع الصاروخي الأمريكي ووسائل مضادة لعمل الأقمار الصناعية الموجهة لمنظومة الرصد والمراقبة والمتابعة الالكترونية وتطوير تقنيات لشل الرادارات الأمريكية وربما تدميرها وتصنيع صواريخ قادرة على اختراق الدرع الصاروخي الأمريكي تحمل رؤوس نووية متعددة من طراز (RS24)[٤٢] .

٤٠ –تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٥ www.islamonline.net

٤١ –تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٤ www.shabmsr.com/vb/archive/index/t-862/html

٤٢ –تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٤ www.annaba.org/annbanews/545-htm

أما في مجال الأسلحة التقليدية فقد طورت روسيا إمكانياتها في مجال الدبابات والدروع لاسيما الدبابات الكبيرة (T90-T94) والمدفعية الثقيلة والبوارج البحرية والصواريخ المضادة للدروع والأهداف المتحركة جواً وبراً وبحراً[٤٣].

إن هذه العقيدة العسكرية الجديدة استندت إلى ضرورات الدور الروسي العالمي وظروف وتداعيات الأزمة مع جورجيا فضلاً عن دور الولايات المتحدة وحلفائ ها كروافد تغذي بسياستها المختلفة ديمومة الصراع بين روسيا والغرب . عملت وستعمل على بروز المتغير العسكري المتمثل بسباق التسلح بين روسي ا من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى كمتغير رئيسي في معادلة الصراع أو بالتعاون بين الطرفين . وذو اثر بالغ في تأطير العلاقة المستقبلية التي ستنتظم بين روسيا والولايات المتحدة على وجه الخصوص على خلفية الأزمة الروسية–الجورجية التي ستتميز عن السابق حيث ستعمل مخرجات هذه الأزمة بجانبها العسكري على إكساب روسيا المزيد من القوة والمرونة في استخدام القوة العسكرية أو التهديد بها في علاقاتها الدولية بشكل يضفي على تحركاتها نوع اً من المصداقية والالتزام بالقدر الذي يلزم خصومها وفي مقدمتهم الولايات المتحدة بإعادة حساب الد ور الإقليمي العالمي لروسيا من منظور جديد يقترب أكثر من فكرة تفهم المصالح الروسية.

الخاتمة

مرت روسيا الاتحادية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١ الذي كان يمثل يوماً القطب الآخر من قطبي إدارة شؤون العالم وتمثل إستراتيجيته الكونية ووجهة نظره لما يدور من حراك دولي في إطار المؤسسات الدولية أو خارجها واحدة من اثنتين مهيمنتين لا وجود لطرف ثالث معهما (فلم تكن دول عدم الانحياز أو الاتحاد الأوربي والتجمعات الأخرى تمثل وجهة نظر دولية مسموعة بقدر ما كانت تدور في فلك أحد القطبين) بأربعة مراحل رئيسة مثلت التاريخ الجدي لروسيا الوريث (وريثة الاتحاد السوفيتي) يتم من خلالها استشراف الحكم على الدور العالم ي لروسيا الاتحادية الأولى هي مرحلة الإنهيار الكامل للقوى والمؤسسا ت والأدوار الروسية التي بدأت منذ عام ١٩٩٥(مدةة ولاية يلتسين ووزير الخارجية كوزريف)

٤٣ –تمت زيارة الموقع في ٢٠٠٩/١/٦ www.forum.aljayyash.net

وفيها خضعت روسيا وانساق ت وراء الولايات المتحدة والغرب . أما المدة الثانية فهي التي يمكن أن نسميها مد ة المهادنة مع الغرب والتي امتدت من عام ١٩٩٥ لغاية وصول بوتين للسلطة والتي كان قد مهد لها بريماكوف وتميزت بسعي روسيا لوقف التدهور الروس ي من جهة ووقف التبعية الروسية تدريجياً للغرب . أما المرحلة الثالثة فقد بدأت منذ عام ٢٠٠٠ ولغاية ٢٠٠٨ وهي مرحلة إعادة بناء روسيا التي تميزت ببروز الدور الروسي المستقل نوعاً ما عن الغرب والذي قام على أساس بناء مركز ومرتكزات القوة . وقد كانت هذه المرحلة بمثابة التمهيد لبداية المرحلة الرابعة والأخيرة . وهي م رحلة الانطلاق والتوسع نحو العالمية والتي بدأت في عام ٢٠٠٨ وتحديداً مع الأزمة الروسية الجورجية ب وصفها حدثاً مناسباً لإعلان بداية الدور الروسي الجديد اذ ستؤسس متغيراتها بداية لنوع جديد ومختلف من العلاقات الدولية تكون فيه روسيا طرفاً فاعلاً وشريكاً حقيقياً في إطار إستراتيجية روسية جديدة لاستعادة دورها كقوة دولية كبرى وتقليل خسائرها الإستراتيجية التي منيت بها خلال المرحلتين الأولى والثانية من تاريخها خلال عقد التسعين يات من القرن الماضي وإبراز قوتها ودفع الأطراف الدولية الفاعلة للتعامل الموضوعي والايجابي مع الوض ع الناشئ المتمثل بانبعاث الدور الروسي العالمي الجديد.

وانطلاقاً من معنى القاعدة الفيزياوية المشهورة (لكل فعل ردة فعل تساويه في المقدار وتعاكسه بالاتجاه) فإن الفعل الروسي العالمي الجديد الذ ي تبلور في الأزمة سيواجه بفعل في إطار البيئة السياسية الدولية من قبل الأطراف المعنية وفي مقدمة هذه الأطراف هي الولايات المتحدة الأمريكية كقطب مهيمن . ومن هنا فإن معادلة ثلاثية الأبعاد ستتحكم في طبيعة العلاقة الروسية الأمريكية في الحاضر والمستقبل . البعد الأول يتصل بالعداء والتنافس التاريخي الذي يسم العلاقة بين الطرفين والثان ي دور الولايات المتحدة في تأجيج الخلافات بين روسيا وجوارها القريب كدورها في إثارة جورجيا ضد روسيا ومصالحها في المنطقة أي دخول الولايات المتحدة كطرف في الأزمة . أما البعد الثالث فهو وقوف الولايات المتحدة كعائق بوجه التطلعات الروسية للعب دور عالمي مميز . وهذه الأبعاد تتمثل في ثلاثة جوانب رئيس ة تسير في إطارها تداعيات الأزمة الروسية الجورجية على العلاقات الروسية الأمريكية وهي بعد التنافس الاستراتيجي العالمي بين الطرفين وبعد العلاقات بين

روسيا وحلف الناتو وأخيراً بعد سباق التسلح بين روسيا والولايات المتحدة.

وقد تطرقت الدراسة لتفاصيل هذه الأبعاد وتوصلت إلى أن روسيا بدورها الجديد لم تصل بعد إلى أن تكون نداً متساوياً لا من حيث الإمكانيات ولا الأدوار أو الطموحات السياسية مع الولايات المتحدة في إطار النظام العالمي لا في الحاضر ولا في المستقبل القريب أو المتوسط إلا أنها نجحت حتماً في البدء بإرساء عملية تغيير حقيقي في هيكل النظام العالمي نحو عالم متعدد الأقطاب تكون فيه الولايات المتحدة أكبر هذه الأقطاب ولكن ليس بشكل حاسم أو إقصائي كما هو الآن وخلق نوع من التوازن العالمي ربما يشبه ذلك التوازن الذي ساد العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر إلى حد كبير وسيعتمد هذا التوازن على مقاييس القوة وآليات إستخدامها لكل من الطرفين الأمريكي والروسي ونوعية العلاقا ت بينهما التي ستؤطرها حدود القوة والقدرة والأداء لهما.